حدِّد غايتك

د. محمد باباعمي

دار وحي القلم

حدِّد غايتك

حدّد غايتك

الدكتور محمد باباعمي

الطبعة الأولى: ١٤٣٤ هـ ـ ٢٠١٤م

جميع الحقوق محفوظة

قياس القطع: ١٢,٥×١٩,٥ سم

عدد الصفحات: ٦٤

الرقم المعياري الدولي: ٩٧٨-٩٩٣٣-٥٠١-٢٥-٩

أسّسها:
سليم محمد دولة
سنة ٢٠٠٢م

الكتب التي تصدر عن الدار تعبّر عن آراء واجتهادات أصحابها.

هدفنا...

تعميم القراءة المفيدة وتدعيم الكتابة.

وحي القلم تستقبل تأليف الكتّاب والمفكرين المبدعين وتشجع إمكانات التفكير وفرص النشر.

دمشق ـ هاتف: ٢٢١٨٥٢٦ ١١ ٩٦٣+
بيروت ـ تلفاكس: ٨٥٧٤٤٤ ١ ٩٦١+
جدة ـ تلفاكس: ٦٦٠٨٩٠٤ ٢ ٩٦٦+
جوال: ٧٠٦٥٣٠٤ ٥٣ ٩٦٦+
جوال: ٣٦٣٧٥٨٠ ٥٠ ٩٦٦+
ص.ب: ٤٥٢٣ دمشق ـ سوريا
البريد الإلكتروني:
wahe_alkalam@yahoo.com
wahe_alkalam@hotmail.com

حدِّد غايتك

تأليف

الدكتور محمد باباعمي

دار وحي القلم

تستقبل تأليف الكتّاب والمفكرين المبدعين وتشجع إمكانات التفكير وفرص النشر.

تجمع بين الأصالة والحداثة، وتستوحي إصداراتها من وحي الواقع، من وحي التجربة والممارسة، ومن رصد ما يُدبر لهذه الأمة ويُراد بها.

يعنيها جديد الإبداع الذهني الذي يُشِعُّ صورة الإسلام النقية في واقع يغصُّ بالأزمات والنكبات التي تستهدف الأمة في دينها وتراثها وأخلاقها.

تتقدم ـ بمعونة الله تعالى ـ نحو عالم كتابي من نوع آخر ـ وضمن خطة تعميم القراءة وتدعيم الكتابة والأخذ بيد القراء الأكارم ـــ وقد أخذت الدار على نفسها استقبال الأسماء التي تحمل العناوين المضيئة الموضحة ضمن خطتها.

تدرك ـ أننا جميعاً في دار الممر، لذا علينا أن نثير لنا السبيل إلى دار المقر بأمن وأمان ويسر، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

المدير العام

غايتنا

رضا الله تعالى

هدفنا

التغيير المنهجي، من منطلق قرآني

بسم الله الرحمن الرحيم

تنبيه

ما تقرأه في هذا الكتاب هو أهمُّ شيء في حياتك، فسواء اقتنعتَ به أو لم تقتنع، وسواء أعجبك أو لم يعجبك... فإنَّ تحديد غايتك، والعمل وفقها، هو أهمُّ قرار تتَّخذه في حياتك؛ فلا تتغافل عنه، ولا تضيّع الوقت في البتِّ فيه.

إنَّ ما ورد في هذا الكتاب ليس رأيًا شخصيًا، ولا نظرية تقبل النقض، ولكنَّه حقيقة كونية، مستمَدة من القرآن الكريم، وهي موجَّهة إلى الكافر والمسلم على السواء... فقرِّر الآن، ولا تتوان... وأجب على السؤال الأهمِّ لمصيرك:

ما هي غايتي من الحياة؟

كيف تقرأ هذا الكتاب

ليس هذا الكتاب للمطالعة، ولا للاستزادة من المعارف العامَّة، ولكنَّه أداةٌ ووسيلةٌ للعمل والتغيير، في العديد من مجالات الحياة: الإيمانية، والاجتماعية، والعائلية، والأخوية، والوظيفية، والسياسية، والاقتصادية... وبالتالي، فإنَّ المؤلِّف ينصحك، أيها القارئ، بما يلي:

* **أن تطالع الكتاب بغرض تطبيقه في حياتك اليومية،** وعليك أن تحاول إسقاط كلّ معلومة على أفكارك ونشاطاتك، وتقرأ من خلالها حركاتِك وسكناتك، وتحلِّل على ضوئها عواطفك وتخطيطاتك...
* **كلَّما استوعبتَ فكرة من الكتاب حاول أن تبلِّغها لمن حولك:** الزوجة أو الزوج، والأولاد أو الوالدين، والأصدقاء، والأجراء، والمديرين، والطلبة، والمتعلِّمين... فإنَّ أفضل طريقة لاستيعاب ما تتعلَّمه هي: **الإنفاق منه، وتعليمه لمن لا يعلمه.**

* حاول أن تطبّق أحسن ما يرد في هذا الكتاب على عملك الاجتماعي، خطوة بخطوة، وفكرة بفكرة؛ **واعلم أنَّ التغيير لا يولد في يوم واحد، ولا يكون طفرة، بل هو نتاج صبر ومصابرة، وجهاد ومجاهدة...**
* **طالع هذا الكتاب وأنت تحمل في طياتك روحًا ناقدة،** علَّك تعدِّل خطأً وقعنا فيه، أو تضيف معلومة جديدة، أو تؤسس طرحًا أعمق وأكثر فاعلية.
* لا تتردَّد في حمل قلم الرصاص، أو القلم الكاشف «textmarker»، قصد تسطير ما ينبغي تسطيره، والتعليق على ما يلزم التعليق عليه، **فتعامَل مع هذا الكتاب بأريحية وجرأة، لا بتقدير وتبجيل.**
* أُتل القرآن الكريم، وادرُس الحديث النبويَّ الشريف، وتمتَّع بالسيرة العطِرة، وبالتاريخ، والفلسفة، والفكر، وسائر العلوم النظرية والتطبيقية... **محاولاً إسقاط ما تطالع على القواعد الواردة في هذا الكتاب، قصد توسيع آفاق الفهم والإدراك عندك، وضمان استفادة أكثر من هذا الكتاب، وممَّا تطالع في آنٍ واحد.**

د. محمد موسى باباعمي

ذو الحجة 1425هـ/ فيفري 2005م

لماذا خُلقتُ؟

هل سبق لك أن جلست يومًا ما لوحدك، على شاطئ البحر، أو في مكان هادئ، لا يقطع أحد خطَّ تفكيرك، فاسترسلتَ في البحث عن **معاني الحياة، وعن مبدأك ومآلك، وعن سر وجودك وأمر فنائك؟**

لا شكَّ أنَّك إذا فعلتَ ذلك، فسيكون من أكبر الإشكالات التي تطرح نفسها عليك:

* **لماذا خلقتُ؟**
* **وما هي نتيجة عملي؟**
* **ولماذا أجهد نفسي في التعلم والعمل، والجدِّ والكدِّ؟**

اِعلم أنَّ هذه الأسئلة أسئلةٌ جوهريّة، حيَّرت العالم، وأقلقت الفلاسفة، فعرِّفت اصطلاحًا بأنَّها أسئلة عن الغاية، تلخص في سؤال واحد هو:

* **ما هي غايتي من الحياة؟**

ولقـد جاء هذا الكتاب، ضمن سلسـلة «**ما بأنفسـهم...**» ليجيـب علـى بعـض الإشـكالات، ويسـاعدك علـى مقاربة الحقيقـة في هذا الشـأن، والله مـن وراء القصد، وهو يهدي السبيل.

* * *

تعريف الغاية

الغاية في اللغة هي من مادَّة «غيا»، و«**الغاية** مدى الشيء، والغايـة أقصـى الشـيء» ومداه وأمـده، قـال تعالى: ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ﴾ [الحديد: 16].

ومـن معاني «**الغاية**: الراية»، و«**غايتـك** أن تفعل كذا، أي نهاية طاقتك أو فعلك».

والغاية اصطلاحًا «ما لأجله وجود الشيء».

وخصائص الغاية هي:

- المدى.
- البعد.
- الأمد.
- الدلالة على المغيَّـي، بها يُعرف.

ولقـد يقـال: إنَّ الغاية هـي الهدف النهائـي، وهي هدف الأهداف، «فكلُّ هدف يفضي إلى الهدف الذي يليه، ويرتبط

بـه روحًـا ومنطقًـا، حتـى ينتهي التـدرُّج إلـى (الغايـات)».
والفروق الواضحة بين الأهداف والغايات هي:

- **الأهـداف** سـمتها التبدُّل والتطوُّر، أمَّـا الغايات فثابتة، لا تتغيَّر بتغيُّر الأحوال.
- **الأهـداف** تُعـرف بزمن معيَّـن، ومكان معيَّـن، وكيفيَّة معيَّنة، أمَّا الغايات فلا تتزمَّن ولا تتحيَّز.
- **الأهـداف** أقـرب ما تكـون إلـى الوسـائل والأدوات والممارسـات، أمَّا **الغايات** فأقرب ما تكون إلى القيم والمبادئ.

ولتوضيـح التعريـف نرسـم شـكلاً رياضيًـا للأهـداف والغايات، يقرِّب الفهم ويوضِّح المعنى:

فإذا كانت الحياة ـ مبدئيًا ـ خطًّا مسـتقيمًا، يبدأ من نقطة محـدَّدة هي الميلاد، لينتهي في نقطـة محدَّدة ـ غير معروفة للإنسـان مسـتقبليًّا ـ هي الموت، وإذا كان هذا الخطُّ يسـير وفق اتجاه معيَّن نرمز إليه بـ ←(+)؛ فإنَّ سهم الزمن يكون كالآتي:

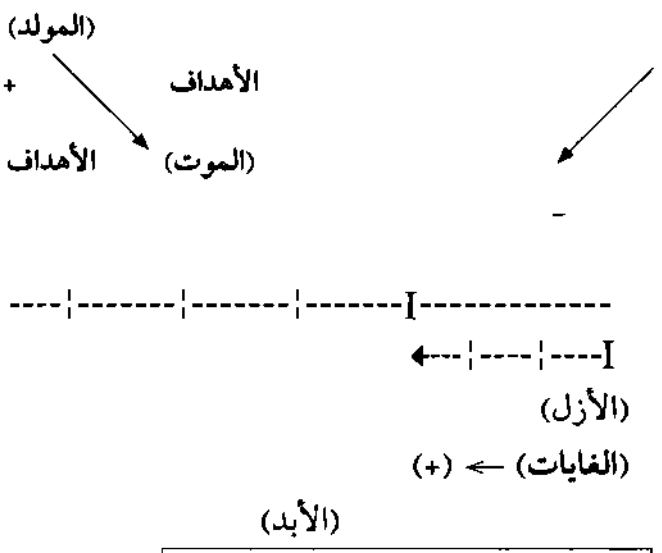

الغايات والأهداف في سهم الزمن

من خلال هذا الرسم نعرّف **الأهداف** بأنّها:

محطّات زمنيّة مستقبلية، يسطّرها الإنسان لمختلف جوانب حياته، ولمدد معيّنة

ونعرّف **الغايات** بأنّها:

معانٍ، غير متزمّنة، متجاوزة،
متعالية، مهيمنة،
وهي التي تحدّد اتجاه الحياة

وهي بأوجز عبارة:

وجهة الحياة ومعناها

* * *

الغاية في القرآن الكريم

علَّمنا ربُّنا الكريم أن نقول وجه كلّ صلاة: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: 79]، فهذه الآية تمثِّل **الغاية والوجهة إيمانيًا**، فكلُّ عمل آتيه، إنَّما وجهتي فيه إلى الله تعالى، وأنا في ذلك متناسق مع السماوات والأرض، وجميع المخلوقات، في توجهها إلى الله تعالى.

فغايتي ووجهي هي: **لله تعالى**.

وتطبيقًا لهذا المعنى الإيماني، فإنِّي أعلن أنَّ كلَّ عمل أعمله، صغُر أم كبُر، طال أم قصُر، إنَّما هو لله تعالى وحده، لا أشرك فيه أحدًا غيرَه، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: 162].

التطبيق

كلَّما شرعتَ في عمل، فقل: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: 79].

واستحضر معناها، ثم اتل قوله تعالى:

﴿إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: 162].

وسمِّ الله تعالى، ثم أشرع في عملك.

* * *

رضوان الله تعالى

يعمل مكتب الدراسات العلمية، بطريقة اختصار الغاية في «**رضوان الله تعالى**»، فهذه الغاية مدوَّنة في جميع الوثائق، ومستحضرة قبيل كلِّ اجتماع، وهي الحكم في كلِّ خلاف مهما كان حجمه.

والدليل قوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: 72].

أمَّا الدليل من الحديث الشريف فقول رسول الله ﷺ: «**إنَّ الله تبارك وتعالى يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك. فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدًا من خلقك. فيقول: أنا أعطيكم أفضل من ذلك، قالوا: يا ربِّ، وأيُّ شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحلُّ عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً**».

فتسلسل الجزاء على النحو الآتي:

- رحمة الله تعالى في الدنيا، وستره، وتوفيقه للمؤمن...
- ثم تخفيف أمارات الموت.
- ثم البسط في القبر، حتى يكون روضة من رياض الجنة.
- ثم التخفيف في الحساب.
- ثم دخول الجنة، بعد أن يرى مكانه من النار، وقد نجاه الله تعالى منه.

كلُّ هذا التسلسل يسطِّر أهدافًا جليلة للإنسان المسلم، وللأمَّة الإسلامية، وينتهي بغاية كبرى هي: **رضوان الله تعالى**.

وهذا معنى قوله تعالى:

﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [الأنعام: 72].

أي أكبر من كلِّ هذه الجزاءات، وكلِّ ما يحتمله الإنسان من نعمة ونعيم.

والحديث الكريم صريح في هذا المعنى:

«فيقول الله: أنا أعطيكم أفضل من ذلك، قالوا: يا ربِّ، وأيُّ شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحلُّ عليكم رضواني، فلا أسخط عليكم بعده أبداً».

التطبيق

كلَّما عزمتَ على كتابة تقرير، أو اقتراح مشروع، أو شرعتَ في محاضرة، أو بدأت العمل مدرِّسًا في قسم، أو تاجرًا في دكان... فابدأ عملك إمَّا بكتابة عبارة:

غايتي: **إرضاء الله تعالى.**

أو بالتلفظ بها، وتذكير المستمعين والمتلقين بهذه الغاية. مع الحرص على استحضار معناها ومدلولها.

وإذا ما وقع خلاف، أو سوء تفاهم، فارجعوا إلى الغاية، واعرضوا المواقف المختلفة عليها، فما كان منها في رضا الله تعالى فاقبلوه، وما كان في سخطه، فانبذوه.

وبهذا يكون الاختلاف مجرَّد تباين في الرؤى، وليس اختلافًا جوهريًا في الأهداف والغاية.

* * *

هرم الغايات

قد تختلط عليك الأمور وأنت تتعامل مع القرآن الكريم، أو السُنَّة النبوية، أو التراث الإسلامي، فتطالع تعدُّد الغايات، وتعتقد أنَّ هذا من قبيل التناقض والتضاد، غير أنَّ الصواب هو كونه اختلاف تنوع، وهي مراحل نحو غاية كبرى، ولذا عمدنا إلى رسم هرم يوضح لك هذا المعنى:

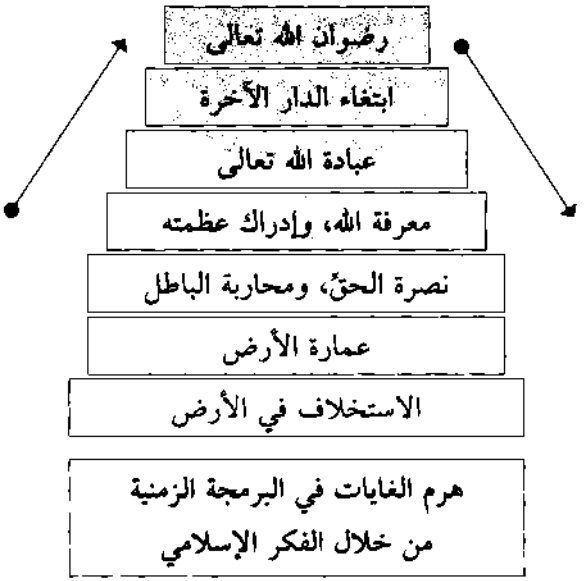

السهمان في اتجاهين متعاكسين، يدلاَّن على أنَّه لا يمكن تحديد أيِّ **الغايات** هي الأولى وأيُّها التابعة:

فالقصد إلى «**رضوان الله تعالى**» يستوجب «**ابتغاء الدار الآخرة**» ويستتبعها في آنٍ واحد.

و«**ابتغاء الدار الآخرة**» يستوجب «عبادة الله تعالى» ويستتبعها.

و«**عبادة الله تعالى**» تستوجب «**معرفة الله تعالى، وإدراك عظمته**» وتستتبعها... الخ.

فعندما يضع أيُّ مسلم برنامجه الزمنيَّ، ينبغي عليه أن يعي هذه **الغايات** التي هي في حقيقتها **غاية** واحدة، ويضعها في أفُقه ليصل إليها؛ لأنَّها هي **غاية الغايات**، وأيُّ **غاية** دونها ستعطي برنامجًا زمنيًّا مضطربًا، ومتناهيًا، وآنيًا، وكمِّيًّا مجزَّدًا.. وهذا ما يعاني منه الفكر الغربيُّ، الذي اتَّسم بضبابية وضعف في **الغايات**، وعانى الأمرَّين من تضاربها وتضادِّها، ذلك أنَّه أبعد من حسابه خالق **الغايات** وواضعها، ولم يعرف لله تعالى قدرًا: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [سورة الزمر، الآية: 67].

هـذا مـن جهـة، ومـن جهة أخـرى كفر بـكلّ حيـاة بعد المـوت: ﴿وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ [سـورة الواقعـة، الآية: 47]، ويقولـون: ﴿أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾ [سورة ق، الآية: 3].

بعكس المسـلم المسـتمدّ مـن الله تعالى منهجـه وغايته، ومن القرآن الكريم روحه وحقيقته، ومن الرسول ﷺ نموذجه وبرنامجـه فإنّـه لا يعـرف انهزامًـا فـي الغايـات ولا تضاربًا، يقول: «مارسيل بوازار» في كتابه «إنسانية الإسلام»: «إنّ النهج الإسـلاميّ يرفض الفصل بين مختلف عناصر الحياة الفردية أو الجماعيـة، فهـو يجهل تعددية (الغايات)؛ وغاية الإنسـان الوحيدة والنهائية، هي كغاية المجتمع سواء بسواء، أن يكون في خدمة الله، ويمتثل لمشيئته، ويعمل بشريعته»، ثم استشهد بقولـه تعالـى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [سورة الأنعام، الآيتان: 162، 163].

وهذه الأحادية في الغايات لا تلغي بأيّ حال من الأحوال خصوصية الإنسـان، ولا تنافي حرّيته، ذلك أنّ الأهداف هي التـي ستسـمح لكلّ واحـد أن يخطّط مسـتقبله لوحده، وفق معطياته وقدراته، أمّا الغاية فتضمن له عدم الانحراف والزيغ.

فقط استعمل عقلك

إنَّ الآلة الوحيدة التي لا تبلى بالاستعمال، بل تزداد قوَّة وحدَّة ومضاء، هي: عقلك. فكلَّما استعملته في الطريق الصحيح، وكلَّما أجهدته في البحث عن الحقيقة... ازداد اتقادًا وازددتَ ذكاءً وحكمةً.

فهل أنت ممَّن يستخدم عقله في البحث عن حقيقة الوجود، وفي تدبُّر الآيات التي في نفسه، وفي السموات والأرض، والحيوانات، والنباتات...؟

أم إنَّك جمَّدتَ عقلك في سفاسف الأمور وحقائرها، وأشغلتَ ذهنك في ما لا يعني من التفاهات والملهيات؟

هل تدبَّرت في عمرك كيف يطوى، وفي الموت كيف يقترب منك وكيف يأخذ أقاربك وأصدقاءك، وفي الأمم كيف تعلو وتتمكَّن، وكيف تزول وتمحَق؟

اعلم أنَّه من الواجب عليك، وأنت إنسان مكلَّف أن تتفكَّر في الغاية من خلقك؛ لأنَّ ذلك له علاقة مباشرة بك

أولاً، وبـكلٍ ما تراه حولك فـي الكون، وكلٍ ما يُعرض لك في حياتك بعد ذلك. «إنَّ الإنســان الذي لا يتفكَّر، لا يدرك الحقائـق إلاّ بعـد المـوت، حين يقـف بين يدي ربـه ليلقى حســابه، وحينها يكون الأوان قد فات. والله تعالى يذكر في محكــم كتابه أن كل الناس ســوف يتفكـرون عندما يعاينون الحقيقـة فـي يـوم الحســاب، قـال تعالـى: ﴿ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ۝ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴾ [الفجر: 23، 24]».

تفكَّر في غايتك، ولا تكن من الغافلين.

* * *

غاية طالب العلم

سأل طالب علم شيخه وأستاذه الحكيم عن الغاية من طلب العلم، وعن الغاية من الحياة، فجاء جوابه بليغًا، يحسن أن يعرفه كلُّ مشتغل بالعلم في عصرنا هذا، ذلك أنَّ مدارسنا وجامعاتنا اليوم لا تدرِّس هذه المبادئ، فهي منشغلة عنها بقيم أخرى زائفة، وبأفكار منحرفة مستوردة من الغرب من دون تمحيص ولا مراجعة.

والحوار بين الطالب والأستاذ أورده ابن الحاج في كتابه «المدخل» ونصُّه:

«**قال الطلبة**: أوضح لنا المنزلة التي ينالُ العبادُ بها القربَ من ربِّهم، ويَقوَوْن بها على معرفته، **ويبلغون بها رضوانَه**، والأمرَ الذي يقرِّبهم إليه، ويقصرُ بهم عنه، إيضاحًا شافيًا، حتى يكون ذلك عندنا بيِّنًا؟».

«فقال: سأوضح لكم ذلك ـ إن شاء الله تعالى ـ فافهم

قولي بفهم لا يخالطه سهو، وتذكر فيه بتذكر لا يخالطه غفلة، واصبر عليه صبراً لا يخالطه جزع...

ثم قال: الأمور التي تقوى بها على العمل والأدب: **الصبر** الذي هو تمامه وقوامه، فإنك إن صبرت انتفعت بعلمك، **وبلغت منه رضوان الله**، وقوَيْت فيه على العمل، وليس منزلة من منازل الخير إلاَّ وللصبر فيه عمل، وبه تمامه، فبالصبر قوي العباد على أداء الفرائض، والحلال، والحرام، وبالصبر قووا على اجتناب المحارم، **وبالصبر بلغوا الغاية من كرامة الله تعالى وثوابه...**».

فاسأل نفسك أخي الطالب: ما هي غايتك من الالتحاق بالمدرسة أو المتقنة، أو الجامعة أو المعهد؟ هل هي: الحصول على منصب عمل، والفوز بمكانة اجتماعية، وحظوة عند الناس؟ فإن كان الأمر كذلك، فاعلم أنَّك أسأت اختيار الطريق، وخسرت حياتك مرَّتين، وخسران الآخرة أشدُّ.

أمَّا إذا كانت غايتك: نوال رضا الله تعالى، ونفي الجهل عنك وعن أمَّتك، ونصرة الحقِّ، ومحاربة الباطل... فأنت بإذن الله موفَّق في الدنيا والآخرة، فاثبت على ذلك، إنَّك على الحقِّ المبين.

وجه الله رضوانُه

إذا قرأت قوله تعالى في القرآن الكريم ﴿وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: 115]، فاعلم أنَّ الوجه معناه رضوان الله، وليس بجارحة كما قد يتوهَّم الغافل عن معاني القرآن، والجاهل بأسرار اللغة العربية.

قال تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: 115]، قال مفسِّر القرآن العلاَّمة أبو بكر الجصَّاص: «معناه: **فثمَّ رضوان الله**، وهو الوجه الذي أمرتم بالتوجُّه إليه، كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾ [الإنسان: 9] يعني لرضوانه ولما أراده منَّا، وقوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: 88] يعني: ما كان لرضاه وإرادته».

وهذا المعنى يتناسق مع تعريفنا للغاية بأنها: **وجهة الحياة ومعناها**.

﴿عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ﴾

يضرب الله تعالى مثلاً بمن له غاية وبمن لا غاية له، فيصوِّر الحالتين ببنيان مرتفع، أحدهما يرتكز على قواعد متينة، والآخر هشٌّ يكاد يقع من شدَّة ضعفه، وهو مبني على حافَّة جارفة، فيقول: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [التوبة: 109]. يعلِّق العالم المفكِّر هارون يحيي في كتابه «الحياة في سبيل الله» على هذه الآية بقوله: «وكما تخبرنا الآية السابقة، فإنَّ حياة هؤلاء الذين يفتقرون إلى الإيمان قائمة على ﴿شَفَا جُرُفٍ هَارٍ﴾ [التوبة: 109]؛ لأنَّ الهدف الأوَّل الذي يعيشون من أجله هو تحقيق السعادة والأمن في ﴿هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [العنكبوت: 64]. ومن هذا المنطلق فإنَّ الغاية الأسمى التي تحكم حياتهم هي: كيف يصبحون أغنياء. إنَّهم يبذلون كلَّ ما بوسعهم من محاولات جسدية وعقلية في

سبيل تحقيق هذه الغاية. هذا بالنسبة للبعض، أمَّا البعض الآخر، فإنَّ الشهرة والسمعة هي الغاية من وراء الحياة الدنيا التي يحيونها، وهؤلاء مستعدُّون للتضحية بأيِّ شيء من أجل الحصول على تأييد الرأي العام. إلاَّ أنَّ كلَّ هذه المكاسب الدنيوية، لن تلبث أن تزول حالما يهال التراب فوق رؤوسهم، ويصبحون وحيدين في قبورهم. أمَّا المؤمن فهو إنسان يعرف الله الذي خلقه، يؤمن بوجوده وعظمته؛ يعرف لماذا أوجده خالقه في هذه الحياة، وماذا يريد منه، لذلك تكون غايته في هذه الحياة العمل على كسب رضوان الله وتحقيق عبوديته. إنه يحاول توظيف كافة السبل والوسائل في سبيل تحقيق غايته هذه، فهو يدرك حقيقة الحياة كما يدرك حقيقة الموت».

«... إنَّ مفتاح النظام الذي خلقه الله هو رضوان الله، ذلك لأنَّ الله يهدي الذين ينشدون مرضاته: ﴿ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَانَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [المائدة: 16]. يكون المسلم مسلمًا عندما يتَّبع رضوان الله، وهذه هي أكثر الصفات التي تميزه عن غيره من الخلائق، وهو يعتبر الدين وسيلة لتحقيق عبوديته لله».

رضوان الله تعالى يخفّف من أتعاب الحياة

ليست حياة الإنسان كلُّها ورد ورياحين، ولا يعني ابتغاؤك لرضوان الله تعالى أنَّك ستكون في منأى عن المصائب والمصاعب، ولكن تيقن أنَّ من كانت غايته هي رضا الله تعالى فإنَّه سيعيش مطمئنَّ البال، مرتاح الضمير، لا خوفٌ عليه ولا حَزَن، وسيكون كلُّ ما أصابه مجرَّد ألم زائل وأذى حائل، مهما بلغ الابتلاء مداه، ولقد وصف الله تعالى هؤلاء ـ وكلُّ رجائنا أن تكون منهم ـ فقال: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ۝ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُواْ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾ [آل عمران: 173].

ولذا لم يستثنَ رسول الله ﷺ من الوجع والألم، وهو أحبُّ خلق الله إلى الله، ولو شاء ﷻ لما أصابه بأذى، ولكنَّ حكمة الله اقتضت أن يكون «بشرًا رسولاً» بكلِّ معاني هذه

العبارة، ولو لم يكن كذلك لما أمكن أن يُتَّخذ قدوة وأسوة. وفي الحديث عن عبدالله بن مسعود قال: «دخلتُ على رسول الله ﷺ وهو يوعَكُ، فقلتُ: يا رسول الله، إنَّك لتوعَك وعكًا شديداً! قال: **أجل، إنِّي أوعك كما يوعك رجلان منكم**. قلت: ذلك أنَّ لك أجرين؟ قال: **أجل، ذلك كذلك. ما من مسلم يصيبه أذًى، شوكةٌ فما فوقها، إلاَّ كفَّر الله بها سيئاته، كما تحطُّ الشجرةُ ورقها**» وفي حديث آخر: «**وليس ذلك إلاَّ للمؤمن**».

فابتغاؤك رضوان الله تعالى يحيل المصائب والأوصاب إلى أجر وحسنات، أمَّا فراغك من الإيمان فيحوِّلها جحيمًا مقيمًا، وقلقًا دائمًا.

* * *

لا شيء خُلق عبثاً

من الواضح بالنسبة لكلّ إنسان يمتلك الحكمة والإدراك أنّه لم تخلق في هذا الكون أي مادة، أو حادث، أو قانون عبثًا **أو من دون هدف وغاية.** تقوم بنية الكون واستمراريته على توازن جد دقيق. هذا التوازن حقيقة غير قابلة للنقاش تثبت أن الكون «مخلوق». فهل يمكن بعد ذلك أن يقال إن الكون خلق عبثًا؟ بالطبع لا.

هناك هدف وغايةٌ حتى في أصغر عمل يقوم به كائن موجود على وجه البسيطة، هذا الكائن الذي لا يشغل مكانًا بالنسبة لبلايين المجرات الكونية أكثر مما تشغله حبة رمل.

إذًا كيف يُعقل القول بأن الكون برمته خلق عبثًا؟

أخبر الله تعالى البشر أنه لم يخلقهم عبثًا: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ [المؤمنون: 115].

وكل هذا يعني أنَّ جميع المخلوقات لها غاية واضحة، وجميع المخلوقات تقرُّ لخالقها بالعبودية، ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا

يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: 44]، إلاَّ الجاحد المنكـر، فإنَّه ينكر هذه البديهة، ويخالف سـنن الكون، فيتخذ لحياتـه غاية أخرى ويتنكَّـر للغاية الحقَّة... ولهذا كان جزاؤه: **معيشة ضنكًا**.

فهـل تريـد أيُّها الشـاب المسـلم أن تكون فـي تناغم مع الكون، أم تريد أن تلزَّ في قرَن مع الكافر...

اختر لنفسـك الطريق الصحيح، ولا تتوان لحظة واحدة؛ فإنَّ هذا هو أعظم قرار تتَّخذه في حياتك على الإطلاق.

أعلنها بصراحة ويقين:

غايتي هي إرضاء الله تعالى.

* * *

الغاية وصوت الضمير

لدى كلِّ إنسان في داخله ثلاثة أصوات:

* صوت الضمير.
* وصوت النفس.
* وصوت الشيطان.

إنَّ الضمير، حتى ولو كان صاحبه كافرًا أو مشركًا، لا يتردَّد في قول الحقِّ، فهو يحدِّثك بالخير فورًا، وأقوى ما يكون حين الخوف، أو الإحساس باقتراب الأجل، فإنَّه في هذه الحال يحملك على الإيمان، ويذكرك بالرحمن.

وهذا ما نقرأه في قوله تعالى، وهو يصف أولئك الذين استيقظ ضميرهم في لحظة الخطر، فلمَّا أحسُّوا بالأمن انقلبوا على أعقابهم، قال جل من قائل:

﴿وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ﴾ [يونس: 22].

أمَّا صوت النفس فعمله هو التبرير والتضليل، ثم يأتي صوت الشيطان ليسند داعي الشرّ، داخلك، ويبعدك عن رضوان الله تعالى، بمختلف الحيل والإغراءات الدنيئة والخسيسة.

فلا تتجاهل صوت ضميرك، ودرِّب نفسك على الخضوع لله تعالى، تسعد في الدنيا والآخرة.

ومن الحكم التي تركها وهب بن منبِّه، ونقلها ابن أبي شيبة في مصنَّفه، قوله: «من اتباع الهوى الرغبة في الدنيا، ومن الرغبة في الدنيا حب المال والشرف، ومن حب المال والشرف استحلال المحارم، ومن استحلال المحارم يغضب الله، **وغضب الله الداءُ الذي لا دواء له إلاَّ رضوانَ الله، ورضوان الله دواء لا يضرُّ معه داء.** ومن يريد أن يرضي ربَّه يسخط نفسه، ومن لا يسخط نفسه لا يرضي ربَّه، إن كان كلَّما ثقل على المرء شيء من دينه تركه أوشك ألا يبقى معه شيء».

* * *

قصّة
عندما تصبح الحياة بلا معنى

نتيجة لضعف الغايات، فإنَّ الذي يصوغ أهدافاً لحياته، ثم يعمل جاهداً لتحقيقها، دائماً ينتهي بقوله: «هل هذا كلُّ ما هنالك؟». وفي هذا السياق أورد «روجر ميريل» قصَّة تعبِّر عن هذا الأمر، قال:

«في واحد من برامج التدريب الخاصَّة بالقيادة، جاءني أحد الأشخاص سائلاً إن كان يمكن أن يفضي إليَّ بأمر ما. ذهبنا إلى مكان جميل، وبدأنا الحديث، وعندما نظرتُ إلى هذا الشخص كان من الصعب تصوُّر نوع المشكلة التي يودُّ طرحها. لقد كان حسن المظهر، في الخمسين من عمره، ويعمل نائبًا لرئيس إحدى الشركات العالمية، وله أسرة سعيدة. لقد كان من الذين ساهموا في ذلك البرنامج التدريبيِّ بفاعليَّة.

بدأ بالقول: «لقد شعرتُ بعدم الرضا مع كلِّ يوم نتقدَّم فيه في البرنامج، لقد بدأت مشكلتي مع أحد التطبيقات في

اليـوم الأوَّل». ثـم بـأ يحكـي جـزءاً مـن حياتـه الشـخصية الماضية. لقد نشأ في مدينة صغيرة في الوسط الغربيّ، وكان رياضيًـا وطالبًـا ناجحًـا، وبعدها ذهب إلـى الجامعة، حيث كان نشـيطًا، وانضـمَّ إلـى العديد من النـوادي والجمعيات، بعدها جاءته الوظيفة الكبيرة، والزوجة، والولد، والسفر إلى الخارج، والترقيات، والمنزل الجديد، وطفل آخر، ثم ترقية إلـى نائـب الرئيس. كلُّ هذا وأنا أصغـي حتى أعرف ما هي المشكلة؟ أو بمعنى آخر الكارثة التي حطَّمته، وقلبت العالم من حوله.

أخيـرًا، قـال: «المشـكلة هـي أنَّ حياتـي مليئـة بالأشـياء الجميلـة (...) ولكن عندمـا طلبتَ إلينا أن نفكّر بعمق لكي نحـدِّد ما هي الأشـياء المهمة فـي الحياة أخذتني الدهشـة، فعندما كنت في مقتبل الحياة كانت هناك قضية، وهدف (أي **غايـة**)، ومعنـى لهـذا العالم (...) خـلال السـنوات الأخيرة اختفـى من حياتـي ذلك **المعنى**، أو **الهدف**، أو **القضية**، لقد خدَّرني الشعور بالأمن (...)».

هذه الواقعـة نموذج حيٌّ لعلاقة الإنسـان الغربيّ بالحياة وبما وراء الحياة من معانٍ.

وهكـذا دخل الإنسـان الغربـيُ عتبة الألفيـة الثالثة، وكلُّ القضايـا الغيبيـة لم تجد حلاً عنده، فمُنـي بخيبة أمل كبيرة، وهـو يعيش مُكرَهًـا «الألـمَ، والمعاناة، والمـوت، وبخاصَّة ضيـاع **وجهة الحيـاة**(...) وعليه أن يعمل فـي القرن المقبل علـى تأسـيس قيـم جديـدة، فما عليـه إلاَّ أن يختـار وجهته بنفسه».

* * *

ماذا بعد؟
اعتراف بفقدان الغاية

إقـرَأ هـذا الاعتـرافَ مـن رجل أعمـالٍ ناجح فـي حياته الوظيفية، إقرأه بتُؤدة وتأمُّل:

«إنَّ حياتي مرهَقة، فأنا أركض طوال النهار، سـواء في الاجتماعـات، أو الردِّ علـى الهاتف، أو إنهاء المعاملات أو المقابـلات... وأنا أجهد نفسـي حتـى النهاية، وأصل إلى سـريري منهَـكًا، ثمَّ أصحـو في اليوم التالـي، لأكرِّر الشـيء نفسـه. إنَّ ما أنجـزه هائـلٌ، ولكنِّي أسـأل نفسـي أحيانًـا: **ماذا بعد؟** ما هو الشـيء الـذي أقوم به وله أهمية ومعنـى؟ ويجـب علـيَّ أن أعتـرف: **إنَّنـي لا أعـرف الجواب؟**».

كـم من النـاس، حتى الناجحيـن منهم، يعانـون من هذا الإشـكال: فقدان المغـزى مما يفعلون، وضيـاع المعنى من الحياة، والروتين القاتل في برنامجهم الزمني!

هـل أنـت كذلك؟ حـاول أن تضع نسـبة مئوية بحسـب تقديـرك، مقارنة بهذا النص، فهل ما جاء فيه يمثل 10، 30، 60، 90.... فـي المئـة مـن حقيقـة حياتـك الوظيفية؟ ضع الرقم المناسب بصراحة في هذا الخانة:

النسبة المئوية مقارنة بحياتي هي:..... في المئة

* * *

الغاية المزيفة

يحرص الكتّاب الغربيون في «إدارة الوقت» على التأصيل للغايات، متخذين الأزمة الروحية للإنسان الغربي منطلقاً لتحليلهم، فيعترفون بأنَّ «الشعور بالمعنى والهدف في الحياة (أي الغاية) هو الذي يعطي المضمون، والمعنى لباقي أبعاد تلك الحياة»، و«إنَّ مفتاح الاشتعال الداخليّ في حاجاتنا الروحية لأن نترك وراءنا الأثر والذكرى الطيبة، والنموذج الذي يحتذى. هذه الحاجة تحيل كلَّ الحاجات الأخرى إلى طاقات تضاف إلى حياتنا: الطعام، والصحة، والمال، والتعليم...».

ولكن، للأسف يقررون أنَّ هذه الغايات الروحية تتمثل في: ترك الأثر الطيب والذكرى الحسنة، والتوازن الشخصي في الحياة، ونفع الآخرين...

ويتوقّف تفكيرهم عند الغاية الحقيقية، وهي: **إرضاء الله تعالى**.

وأنت، أيها المسلم، قد وفِّقت إلى هذه الغاية الكبرى، فاحرص على ألا تضيعها، واعمل على إنزالها إلى حياتك اليومية، لتتحوَّل إلى عمل صالح، وفعل مثمر.

القطب اطفيش
يحدد غايته

عـاش قطـب الأئمـة الشـيخ إمحمد بن يوسـف إطفيش حياته المباركة، بين التأليف والتعليم، وترك أكثر من ثلاثمائة عنـوان فـي مختلـف فنون العلـم: العقيـد، والفقـه، واللغة، والمنطق، والتاريخ، والفلك، والطب... فكان بحقٍّ موسوعة عالميـة، وظاهرة نادرة، وما ذلك إلاَّ لقوَّة غايته ووضوحها، ولقد عرضها في بيتين شعريين جاء فيهما:

ولـولا ثـلاث هـنَّ: تعليـم جاهـل
وإرضـاء ربِّي، والجهاد لذي الكفر
لما كنتُ أخشى الموت، والموت لازم
وإلاَّ فمـا الحيـاة والمـرء فـي قهر

فغايته تتلخَّص في ثلاث نقاط هي:

- إرضاء الله تعالى.
- وتعلُّم العلم وتعليمه.
- وجهاد الكفار.

ويتأسف في بعض كتاباته أنَّه حقَّق الثانية، ويدعو الله أن يكون قد حقَّق الثانية، ولكنَّه لم يحقِّق الثالثة، فلم تسمح له الظروف بالجهاد، ومحاربة الاستعمار والمشركين والكفار بالسيف، رغم أنَّه حاربهم بالقلم، وبالمواقف الجريئة.

فهل نحن مستعدُّون لنربِّي نُسخًا للقطب، في عصر نحن أحوج ما نكون فيه إلى مجتهدين من أمثاله؟

فلنعلِّم أبناءنا تحديد الغاية، وعلو الهمَّة.

* * *

برنارد شو
يحدد غايته من الحياة

في كتاب (السعادة) للفيلسوف الساخر جورج برنارد شو «George Bernard Shaw» نقرأ نصًا يحدد فيه المؤلف غايته في الحياة، فيقول: «هذه هي السعادة الحقيقية في الحياة... أن تقضي حياتك من أجل هدف تعتقد أنَّه هدف مقدَّس... أن تكون قوَّة من قوى الحياة، بدلاً من أن تكون مجرَّد شيء صغير، أنانياً معزولاً، مليئاً بالشكوى والأحزان، يندب حظَّه أنَّ هذا العالم لم يكرِّس نفسه لجعله سعيدًا... أنا شخصيًّا، أرى أنَّ حياتي ملكٌ لكلِّ المجتمع، ولذلك عليَّ أن أقدِّم لهذا المجتمع كلَّ ما أستطيعه، ما حييتُ. إنَّني أريد أن أقدِّم كلَّ ما يمكنني، حتى آخر نفَس، عندما يحين وقت وفاتي. فكلَّما شقيتُ في العمل كلَّما عشتُ أكثر. فأنا أستمتع بالحياة لذاتها، فالحياة ليست شمعة صغيرة، ولكنَّها مصباح كهربائيٌّ رائع، أمسك به ليضيء بأقضى طاقته، إلى أن يحين الوقت لتسليمه إلى الأجيال القادمة».

فالفيلسوف بيرنارد استثنى من غايته «الله تعالى»، فألّه «المجتمع»، و«الشهرة»، و«العمل»، و«الحياة». ولكنه استطاع أن يملأ الحياة نشاطًا وتفاؤلاً ودافعية، فما بال بعض المسلمين رزقوا الإيمان، ووُهِبوا غاية عظيمة، نجدهم أقلَّ حيوية، وأقلَّ تفاؤلاً، وأبعد عن العمل والإنتاج والإبداع... لا شكَّ أنَّ في غايتهم خللاً، وفي إيمانهم نقصاً.

* * *

هارون يحيى
والغاية الكبرى

إياك أن تعتقد بأنَّ عصر الناجحين قد ولَّى، وأنَّ الذين وُهبوا الغاية الكبرى قد انتهوا، وأنَّ عصرك هذا هو عصر الفساد، وأنَّ الخير قد انقرض من فوق الأرض... ففي كلِّ زمان أناس خيرون، وفي كلِّ زمان أناس شرِّيرون، فاحرص أن تكون خيِّرًا بغض النظر عن عصرك ومصرك.

ومما يروى في هذا أنَّ رجلاً قال للعلاَّمة الشيخ بيوض: ليتني عشتُ في عهد الرسول ﷺ!

فغضب الشيخ بيوض، وقال: ويحك ومن يدريك أنَّك لو عشتُ في زمان الرسول لكنتَ أبا جهل؟ فقط، ارضَ بقضاء الله، وكن صالحًا في زمانك.

فيسُرنا أن نورد أنموذجًا لرجل ترك آثاراً طيبة، وهو لا يزال في مقتبل العمر، إنه: المفكر العالمي **هارون يحيى**.

هذا الرجل من مواليد سنة 1956م، شرع في كتاباته الداحضة لنظرية داروين، وهو في الثلاثينات من عمره، ثم

انتشرت عبر العالم، وتُرجمت إلى الكثير من اللغات، ولاقت إقبالاً كبيراً في الأوساط العلمية، ولا تزال.

ومن تمام حكمته ونشاطه أنَّه نشرها في وسائل الإعلام: التلفزيون، والأقراص المدمجة، والإنترنت... الخ.

وعناوينه في الأنترنت هي:

www.harunyahia.com

www.harunyahia.net

وبريده الإلكتروني إذا أردتَ أن تراسله، هو:

info@harunyahya.net

ومن المفيد أن تعرف أنَّه بلغ كلَّ هذا المستوى لأجل غايته المحدَّدة والواضحة وهي:

«نسف الأسس الإلحادية والشركية، وإبطال كلِّ المزاعم التي تقوم عليها الحركات المعادية للدين، لتكون له كلمة الحقِّ الأخيرة، ويعتبر خاتم النبي ﷺ، الذي جعله شعاره في كلِّ أعماله، بمثابة الإعلان عن الغاية الكبرى التي يصبو إلى تحقيقها».

«نقل الرسالة القرآنية إلى الناس، وتشجيعهم على الإيمان بالله، والتفكر بالموضوعات الإيمانية، والوجود الإلهي، واليوم الآخر».

«خدمة أولئك الذين يبحثون عن الطريق الصحيح للوصول إلى الله، وليس تحقيق السمعة أو الشهرة، أو مآرب مادية».

«هزيمة الكفر، وتكريس القيم الإنسانية».

* * *

الله والإنسان وجهًا لوجه

تحت هذا العنوان المثير يكتب العالم المتخصص في علم اجتماع الزمن: روجير سيو «Roger Sue»: «تحول الإنسان الغربي إلى مواجهة حقيقية بينه وبين الله، وبهذا أصبح أكثر مسؤولية عن زمنه وعن أفعاله... وقد كان قبل ذلك يحمِّل الإله كلَّ ذلك».

بهذا المنطق لا ينتظر من الفكر الغربي أن يضع في غاياته رضا الله تعالى، ما دام لا يعترف به.

* * *

رواد للفضاء ولكن بلا غاية

لا تعتقد بأنَّ العلم في مقدوره أن يفسِّر غاية الوجود، ذلك أنَّ مجاله محدود في الظواهر الكونية، قال الفيلسوف «أندريه ليشنزوير» في هذا المعنى: «إنَّ الخطاب العلميَّ، لا يستطيع أن يخرج من ذاته من دون أن يفقد خصوصيته، وتكمن مهمَّته في تفسير تركيبة الأشياء والظواهر؛ فهو يحلِّلها ويشرِّحها تشريحًا، ويكشف عن قوانينها وبنيتها الداخلية، ولكن ليس عنده كلُّ شيء يقوله عن غائية الأشياء، أو معنى الوجود، أو الهدف من الحياة في نهاية المطاف، فهذه هي مهمَّة الدين أو الفلسفة بشكل عام. العلم يستطيع أن يفسِّر الأشياء، ولكنه لا يستطيع أن يقول: لماذا وُجدت الأشياء، أو ما هي الغاية من الكون».

ولعلَّ هذا ما يفسِّر أنَّ رواد الفضاء الأوائل، عندما حدَّدوا غايتهم في الوصول إلى القمر، وعملوا بكد في سبيل تحقيقها، ولكنهم يوم رجعوا إلى الأرض وقد وفُّقوا في

تحقيقها، انتهى معنى الحياة بالنسبة إليهم، وكان السؤال: ماذا بعد القمر؟ وما فائدة الحياة بلا غاية أكبر نعمل من أجلها.

فوقعوا في قلق شديد، وأمراض نفسية مستعصية، مما استلزم فرقًا من الأخصَّائيين النفسيين لمحاولة تخفيف اكتئابهم، ولكن لم يفلحوا.

وهذه هي ضريبة انحراف الغاية أو فقدانها. وصدق الله العظيم في وصفه البليغ لعلماء الكفار، الذين قد يبهروننا بعلومهم ولكنهم في فراغ روحي مهيب، فقال جل من قائل: ﴿ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴾ [الروم: 7]، وقال: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ [طه: 124]. فهؤلاء علموا وجحدوا، ظلمًا وعلوًا.

* * *

مرض المشاهير
فقدان الغاية

هل تريد أن تكون مثل المشاهير في كرة القدم، و«الفن»؟

إذا حدث لك يومًا أنَّك فكَّرتَ في ذلك، فاعلم أنَّ حياتهم تبدأ بغاية واحدة هي: بلوغ قمَّة الهرم، والحصول على الشهرة والمكانة الإعلامية، وتحقيق أكبر قدر ممكن من المال والملذَّات الدنيوية.

ثم، بعد بلوغ ما سطروه، تبدأ حياتهم في الخفوت، مثل شمعة صغيرة وسط الأعاصير، ويفقدون معنى الحياة، بفقدانهم للغاية التي حدَّدوها أوَّل يوم، والكثير منهم يتحوَّل إلى عربيد، وسكير، ومدمن على المخدِّرات، وقد تلاحقه المحاكم لتفاهات صبيانية يقترفها...

وإن شئت فاقرأ عن: مايكل جاكسون في الغناء، وعن مايك تاوسون في الملاكمة، وعن دييغو مارادونا في كرة القدم... وغيرهم من الذين أصيبوا بمرض فقدان الغاية، أو ما نسميه بمرض المشاهير، كثير.

أمَّا أنت أيها الشاب المسلم، فاحذر من اتباع هؤلاء، فلقد كرَّمك الله تعالى، وجعلك مثالاً للخير والسكينة والطمأنينة في الدنيا، والفوز بالجنة وبرضوان الله يوم القيامة.

* * *

عندما تتحول كرة القدم إلى غاية

هل أنتَ من محبّي كرة القدم؟

إذا كنتَ كذلك، فإلى أيّ حدٍّ؟

وهل، مثلاً، من عادتك أنّك تؤخّر الصلاة، أو تتخلف عن الجماعة، أو عن اجتماع وموعد مهم، لأجل مقابلة في كرة القدم؟

إذا كنتَ كذلك، فاعلم أنّك صرتَ ـ علمتَ أو لم تعلم ـ من أتباع ديانة جديدة: **تسمَّى كرة القدم**، وفقدتَ غايتك من الحياة.

في مقال رفيع المستوى، بجريدة «العالم الديبلوماسي» عنوانه: «كرة القدم، رياضة لائكية في البحث عن إله جديد»، يقول الكاتب: «تستولي رياضة كرة القدم على المساحة الشاغرة التي تخلّت عنها السياسات والديانات الكبرى»، و«قد أبدع الجمهور وسيلة للاتصال في الملاعب،

أكثر جاذبية وإثارة، من تلك التي تستخدمها الديانات والأحزاب السياسية».

ويعتقد بعض الدارسين أنَّ عدداً من المشاهير، مثل: مارادونا، ورونالدو، وزيدان، وبيكام... هم الآلهة الجدد لكرة القدم، والمشاهِد الذي يضحِّي بماله وراحته، ويضع كلَّ طاقته وعواطفه في تشجيعهم، هو بمثابة العابد، الذي يبتغي رضا معبوده، فيستعدُّ لكلِّ أنواع التضحية، حتى لو كلَّفه ذلك إنفاق المال، أو إحداث التخريب والفساد، أو البكاء وأذية الجسم، وقد يصل به الحال إلى الانتحار، في الحالات القصوى.

ومن اجتهد في حبِّ كرة القدم إلى حدِّ الجنون، وضيَّع علاقاته الروحية مع الله تعالى، بتركه للصلاة، أو تأخيرها، أو أدائها من دون خشوع... فقد خسر غايته من الحياة (**رضا الله تعالى**)، وبات في عيشه بلا وجهة ولا معنى، وهذا هو الخسران المبين، والضلال البعيد.

وقُلْ مثل ذلك عن الشهوات، والملذات، واللهو والغناء، والمتع الآنية الأخرى... ﴿مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [الجاثية: 23].

التطبيق

أنت الآن أمام جهاز التلفاز، تشاهد مباراة في كرة القدم، في تصفيات عالمية، يشارك فيها أحبُّ فريق لديك، وكلُّ المؤشرات تقول: إنَّ المباراة ستنتهي بعد ربع ساعة، بفوز فريقك، مع الخوف من تعديل النتيجة، من قِبل الفريق الخصم...

فجأة، يؤذِّن المؤذِّن لصلاة المغرب!!

أجب في هذه الخانة، عن سؤال: ماذا سأفعل؟ وكن صريحًا مع ذاتك:

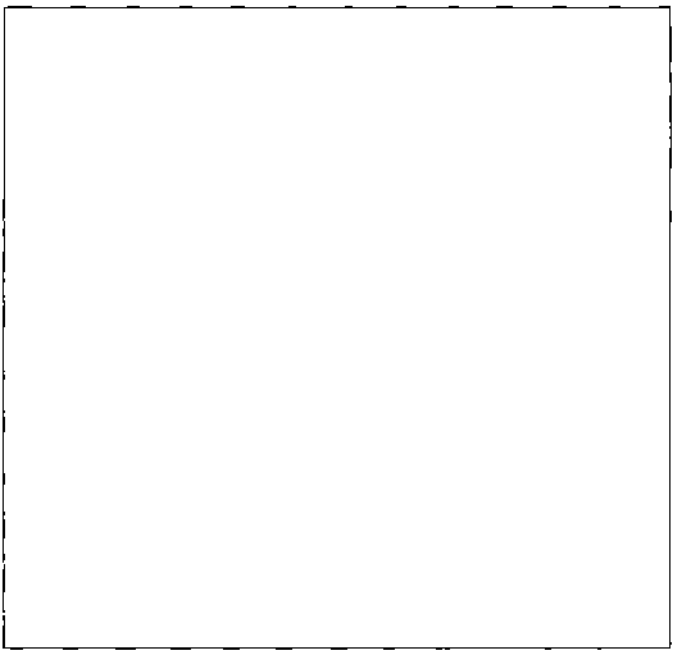

الغاية والتضحية

قد يجد المرء غرابة في الشهيد، الذي يهب حياته في سبيل غاية يؤمن بها، بينما الناس يحرصون على الحياة، ولو على حساب غايتهم، وممَّا يفسِّر هذا الموقف البطولي، وجود غاية كبرى هي: رضوان الله تعالى، وحياة أخرى: هي الدار الآخرة. يقول المفكِّر عبدالكريم بكَّار في كتابه الرائع (عصرنا والعيش في زمانه الصعب)؛ «ميزة الغاية الكبرى للحياة هي: أنَّ الأهداف الأخرى جميعها، تصبح وسائل بالنسبة إليه، مما يوجد ارتباطاً فريدًا بين مجموعة الأهداف المختلفة. سيطرة هذه الغاية على حسِّ الناس ومشاعرهم، وتصرفاتهم، وحساباتهم، كان باستمرار يشكِّل مخرجًا حيث لا مخرج، وحلاً حيث لا حلَّ؛ فهدف على هذا المستوى يضحَّى بالحياة كلِّها من أجله، وهذا ما يفعله في الحقيقة الشهيد والملتزم التزامًا صارمًا. الشهيد والملتزم، هما أعظم الناس نفعًا

للبشرية؛ لأنّهما يعطيان للحياة، ولا يسحبان من رصيدها، وإنّما يسحبان من رصيد آخر، هو رصيد الآخرة، مما يخفّف من كثير من الأزمات».

* * *

الصلاة أول الوقت...

لو أنَّك سألتَ رسول الرحمة محمَّداً ﷺ، عن مظهر من مظاهر ابتغاء رضوان الله، لكان جوابه، كما في الحديث النبوي الذي رواه ابن عبَّاس رضي الله عنهما:

«الوقتُ الأوَّل من الصلاة رضوان الله، والوقت الآخِر عفوُ الله».

وقد علَّق الإمام الشافعي على هذا الحديث بقوله: «ورضوان الله إنَّما يكون للمحسنين، والعفو يشبه أن يكون للمقصِّرين».

فإذا كنتَ ممَّن يحرص على الصلاة في أوَّل الوقت، فاستبشر خيرًا، واعلم أنَّك قد أوتيتَ من الخير الكثير...

* * *

الكلمة الطيبة

الكلمة الطيّبة: ممَّا يستوجب رضا الله تعالى، ويضمن لك بلوغ الغاية الكبرى بأمان، فاحرص على أدائها، وابتعد عن الكلمة الخبيثة، وفي هذا المعنى يروي لنا العلماء حديثاً عن رسول الله ﷺ، قال فيه:

«إنَّ أحدكم ليتكلَّم بالكلمة من رضوان الله ما يظنُّ أن تبلغ ما بلغت، فيكتُب الله ﷻ له بها رضوانه إلى يوم القيامة، وإنَّ أحدكم ليتكلَّم بالكلمة من سخط الله، ما يظنُّ أن تبلُغ ما بلغت، فيكتُب الله ﷻ عليه بها سخطه إلى يوم يلقاه».

وأنت، أيها القارئ، أحمد الله أن وهبك عقلاً يميِّز بين الخير والشرِّ، وبين الطيب والخبيث، فاختر أيَّهما يسعدك في الدنيا، وينجِّيك يوم القيامة.

* * *

ابسط يديك يملأها الله من رضوانه!

ليس القرآن الكيم نصًا أدبيًا كباقي النصوص، بل هو كلام الله تعالى، والمستمسك به ينال الجزاء الحسَنَ في الدنيا، والأجر الكبير في الآخرة، وفي هذا يصف لنا عبد الله بن عمر ﷺ مشهدًا مثيرًا، ستجرى أحداثه يوم القيامة، وكأنّنا نراه رأي العين، يقول:

«يَجيء القرآن يشفعُ لصاحبه، يقول: يا رَبِّ، لكلِّ عَامِلٍ عُمَالَةٌ مِنْ عَمَلِهِ، وإنِّي كنتُ أمْنَعُهُ اللَّذَّةَ، وَالنَّوْمَ، فَأكْرِمْهُ. فَيُقَالُ: ابسُط يمينَك **فتُملأ من رضوان الله**، ثمَّ يقال: ابسُط شمالك **فتُملأ من رضوانِ الله**، ويُكسَى كِسْوَةَ الكرَامَةِ، ويحلَّى بِحليةِ الكرَامةِ، ويُلبَس تاجَ الكَرَامَةِ».

ولكلِّ واحد منَّا أن يتخيَّل يديه وهما تُملآن من رضوان الله تعالى، وليتخيَّل نفسه وهو واقف كالعريس تكسوه الملائكة كسوة الكرامة، وكالأمير تضع فوق رأسه تاج الكرامة... وما علينا اليوم، إلاَّ أن نعمل وفق الغاية الكبرى: **رضوان الله تعالى**.

الفهرس

كيف تقرأ هذا الكتاب 9
لماذا خُلقتُ؟ 11
تعريف الغاية 13
الغاية في القرآن الكريم 17
رضوان الله تعالى 19
هرم الغايات 22
فقط استعمل عقلك 25
غاية طالب العلم 27
وجه الله رضوانُه 29
﴿عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ﴾ 30
رضوان الله تعالى يخفّف من أتعاب الحياة 32
لا شيء خُلق عبثاً 34
الغاية وصوت الضمير 36
قصّة عندما تصبح الحياة بلا معنى 38
ماذا بعد؟ اعتراف بفقدان الغاية 41
الغاية المزيفة 43
القطب اطفيش يحدد غايته 44
برنارد شو يحدد غايته من الحياة 46
هارون يحيى والغاية الكبرى 48
الله والإنسان وجهًا لوجه 51
رواد للفضاء ولكن بلا غاية 52
مرض المشاهير فقدان الغاية 54
عندما تتحول كرة القدم إلى غاية 56
الغاية والتضحية 59
الصلاة أول الوقت 61
الكلمة الطيبة 62
ابسط يديك يملأها الله من رضوانه 63